أهل المغرب الأوسط والجهاد ضد الصليبيين في العصر الوسيط

The people of the Middle Maghreb and the jihad agrainât the Crusaders in the Middle Ages

مكاتي توهامي[1]

تاريخ الاستلام: 2021/03/26 تاريخ القبول: 2021/08/02 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

الدراسة تسلط الضوء علي أهمية الحروب الصليبية في نفوس المسلمين ، و مدي تعلق الشعوب المسلمة بالدفاع عن مقدسات العالم الإسلامي ،خاصة الحرم المقدسي و كيف أن الدافع الديني و الرابطة الإسلامية تتحرك في نفوس المسلمين للدفاع عن هده المقدسات و كيف أن المغاربة عامة و أهل المغرب الأوسط وخاصة فئة العلماء لم يتوانوا في الدفاع و تلبية الواجب في مشاركة إخوانهم المشارقة في صد الهجمات الصليبية الحاقدة.

كلمات مفتاحية: الحروب الصليبية ،أهل المغرب الأوسط ،القدس الشريف ،المشرق الإسلامي.

Abstract: The study sheds light on the importance of the Crusades in the harets of Muslims, the extent of the attachement of Muslim peoples to defending the sanctifiés of the Islamic world, especially the Temple Mount, and how the religious motive and the Islamic League move in the hearts of Muslims to défend thèse sanctities, and how Moroccans in general and the people of the Middle Maghreb Especially the class of scholars did not hesitate to defend and fulfill their duty to share their brethren in the East in repelling the malevolent Crusader attacks.

Keywords*:* The Crusades, the people of the Middle Maghreb, Al-Quds Al-Sharif, the Islamic East.

[1] أستاذ مؤقت، تخصص تاريخ العصور الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة. mekkatit@gmail.com

مقدمة:

يكتسي الجهاد أهمية خاصة للفترة موضوع الدراسة، وذلك لأنها فترة شهدت حملات وحروباً شنّها الغرب الأوربي المسيحي على البلاد الإسلامية عرفت في التاريخ العام باسم "الحروب الصليبية"، وقد استمرت هذه الحملات على مدى قرنين من الزمان، ومكنت أوربا من توطيد سيطرتها في العديد من المناطق الإسلامية المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وخاصة سواحل بلاد الشام والمناطق المجاورة لها، حيث تمكن الفرنجة من تأسيس ثلاث إمارات ومملكة بيت المقدس.

وكان لهذه الأحداث أصداء في كل أنحاء العالم الإسلامي، أفرزت ردود فعل عبر عنها بأشكال مختلفة ومتفاوتة الأهمية، وقد سجلت المصادر وجود مشاركة مغربية مكثفة في الجهاد خاصة في الجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وبالبحر الأحمر بصفة خاصة، فما طبيعة هذه المشاركة؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار هذا الوجود المغربي بالمشرق وهذه المشاركة تجسيداً لإرادة سياسية؟ وكيف شارك أهل المغرب الاوسط في هذه الحروب ؟

2. إسهامات أهل المغرب الأوسط في الحروب الصليبية :

في الوقت الذي انكفأ العالم الإسلامي على نفسه، وأشاح بوجهه عن الفتح والتوسع، لم تلقى من ضربات موجعة سددها له شرق بدوي، يركب ظهر جوداه، والفرنجة من الشمال استردوا ما كان لهم قبل الظاهرة الإسلامية في شبه جزيرة أيبيريا حيث بدأت مدن الأندلس تتهاوي ومجالاتها تضيق، أمام توسع التمدد المسيحي، وحيث ملامح ذلك تتجلى في ركوب التصوف ومظاهر الزهد واتخاذ الرباط لفرض الجهاد في سبيل الله، مغربا أو مشرقا، فكان أن تواجد المغاربة في المشرق وتحديدا في جيوش مصر بعد أن تواجدوا بأربطتها، مثابرين يجندون أنفسهم لمحاربة أو مراقبة الصليبين في مناطق الثغور الحدود ، فعرفوا بالمجاهدين ، أو المرابطين نسبة للمواقع المحصنة، وهي الربطات و يحدوهم شرف الجهاد و محاربة الصليبين لكن لا ينبغي بسط الحديث ومعالجة الإشكالية من منظور وفادة مغربية للمشاركة ضد الصليبين مؤقتا، وهي محل توثيق لكن العناية الكبرى ستتحقق وفق إثبات صحة فرضية التواجد المغاربي في الجيوش الاسلامية منذ الفتح الفاطمي حتى الحروب الصليبية، خلال الأيوبيين والمماليك، وهذا لاعتبارات منها:

أ- المغاربة هم في شبه حروب دائمة مع المسيحيين في بلادهم قبل أن تنشب الحروب الصليبية في الشرق (المالكي، مقدمة رياض النفوس،ص151 1951) فهم بذلك أهل ربط ومثابرة وسواحلهم معرضة

لخطر الغزو من صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا، فاعتبر المغاربة وجودهم على الساحل يعد الرباط فيه جهاد في سبيل الله وقربة إليه ذلك حرصت الدول المغربية في تعبئة السواحل إقامة المحارس والربط، وشحنا بالحراس، فتفوقت البحرية في الغرب الإسلامي مع نهاية القرن 2هـ-8م، وزاد قوتا أمام تراجع قوي البيزنطيين، فأصبحت السيادة البحرية المغربية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين، 09-10 الميلاديين

ب- تقييد الوضع السياسي في المشرق والمغرب، في أواخر ق5هـ/11م، ففي المشرق، نفذ الصليبيون هجوما كاسحا على المشرق مكونا إمارات صليبية وفقدان بيت المقدس من أيدي الفاطميين، وفي المغرب، كانت دويلات الطوائف بعد سقوط دولة الأمويين بالأندلس، أعقبتهما دولة المرابطين التي إنشغلت بالجهاد ضد الإسبان في الشمال والوثنيين في الجنوب (العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية،ص81،، 1976)

يرى معظم المؤرخين أن المغاربة بحكم وجودهم على الساحل البحري، الذي ينفتح على أوروبا طبعت بأمور البحر، وعلى أنهم من ضمن أمم البحر الرومي، الذي لديه وسيلة الحرب والإبحار هي السفينة، فكانوا مهرة في ركوب البحر (ابن خلدون، العبر ،ج1،ص266،، 1988) حتى أن مؤرخي مصر أشادوا بهم، فالجيش الفاطمي ظل مؤلفا لفترة طويلة من المغاربة بصفة خاصة (كوهن ك.، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية،ص222، 1995) رغم أن عملهم في البحر في العصر الفاطمي حسب زعم أ حدهم من قبيل الإكراه (المقريزي، السلوك امعرفة دول الملوك،ص169،، 1997) فأصبحوا محل مدح وإشادة خاصة منهم أهل افريقية (جواتيانين، دراسات في التاريخ و النظم الاسلامية،ص265)، وهذا ما أهلهم ليكونوا قادة الأساطيل في المشرق، لما لهم من مهارة في في هذا الفن ، وكذا اهتمام صلاح الدين بالملاحين المغاربة، حتى أنه استجاش بسلطان المغرب، السلطان يعقوب المنصور، وبأسطوله وطلب منه المدد لقطع دابر الفرنجة من الصليبيين عن سواحل الشام، وبعث له سفيرا يحمل هدايا وألطافا(خلدون، التعريف بابن خلدون رحلته غربا و شرقا، 2006).

لقد دون ابن جبير الرحالة الأندلسي خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس الهجري بأن التواجد المغاربي و الأندلسي كان علي شكل مجموعات كبيرة العدد ، الأمر الذي جعل الصليبين يلجؤون إلى اتخاذ إجراءات مضادة للمغاربة و الأندلسيين ، تجسدت بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم ، و ذلك جزاء اشتراكهم مع العرب المشارقة ضدهم ، يقول ابن جبير عندما زار حصن تبنين:" وكان

مكانا لتمكسي القوافل ... ولا اعتراض علي غيرهم ، وسببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين أحد الحصون ، فكان لهم أخده غني ظهر و اشتهر ، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية ، وألزموها رؤوسهم، فكان مغربي يزن على راسه الدينار في اختلافه على بلادهم (ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص267)

وقد ازداد عدد المغاربة بشكل كبير علي عهد صلاح الدين الايوبي ، فظهرت مشاركتهم علي وجهيين الأول كمحاربين أساسيين ،و الثاني كمرافقين للجيش يقومون بتقديم الخدمات المختلفة التي لا تقل عن غيرها في ميدان الحرب فقد ذكر العماد الكاتب الاصفهاني القيمة و الدور الدي شغله المغاربة علي الصعيد العسكري، كمقاتلين أشداء نذروا أنفسهم لتنفيذ مهمات في غاية الخطورة (علي أحمد، دور المغاربة و الاندلسيين في الحروب الصايبية،ص205) يقال أن أول تدخل مغربي في الحروب الصليبية يصعد الي عام 543هـ-1148م ، وهو التاريخ الذي أستشهد فيه الإمام المغربي يوسف بن دوناس الفندلاوي الفاسي (علي أحمد، بلاد الشام في نظر المغاربة،، 2000،ص65)،و يذكر ممدوح حسين عن صلاح الدين منجد صاحب كتاب المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين أن عدد المغاربة في جيش صلاح الدين أثناء حصار عكا سنة 583هـ-1187م ما بين ألفين إلي ثلاثة ألاف (ممدوح، الحروب الصليبية في شمال افريقيا،ص186)إن هؤلاء المغاربة هم كالكثير من الشامين و المصريين الذين شاركوا بهذه الحرب من غير الجيش النظامي ، الذي لم يكن يشكل كل القوة المحاربة و قد وضح الانجليزي هاملتون جب أن جيش صلاح الدين في موقعة حطين لم يتجاوز الأربعة عشر ألف جندي (هاملتون، صلاح الدين الايوبي،ص165،، 1996)، أما المحاربون الأخرون فكانوا متطوعة و متصوفة مع أتباعهم منهم الأندلسيون و المغاربة (عمر عبد السلام، الاندلسيون و المغاربة في بلاد الشام،، 1999،ص19)و أشهر الحوادث المعروفة عن الأندلسيون و المغاربة في ميدان الحرب ما ذكره ابن الأثير في حوادث عام 543هـ-1148م عندما حاول الصليبيون احتلال مدينة دمشق ، وأثناء حصار الفرنج لها اجتمع أهلها لتدارس الطرق والأساليب لمواجهتهم و كان من خرج للجهاد الفقيه المغربي المالكي أبو الحجاج الفقيه (ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ص266) وكان طاعنا في السن فتقدم للقتال حتي قتل، وكان الفقيه أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي المالكي أشدهم حماسا و استعدادا للحرب و ظل يقاتل حتي أستشهد بأرض التيرب بالقرب من الربوة نحو نصف فرسخ من دمشق و حمل جثمانه إلي مقبرة باب الصغير حيث دفن (ابن القلانسي، ديل تاريخ دمشق،ص195) و قد قيل فيه أشعار كثيرة منها ما قاله إبن الحكم الاندلسي

بَـشْطَ نَـهْـر دَارَيَـا أمـــوُرُ مَا تـوَاتــيَـنَـا

أتَـانـَا مَـائَتـَا ألــْف عَـدَيـدًا أَوْ يَـزيـدُونـَا

ورَايَـا ت وصَلْبَــانُ علي مَسْجد خَـاتوُنَـا
فَـقُلنَـا ادَا رأيَنـاْهــم وَقـدْ جَـاءوا يُريـدُونـاَ
وشَـيْخـاً فنَـدلَاَوي فَـقيهًا يـعَضَد الْدنيْـا
ولكن غادروا القسيس تحت الارض مدفونــا (كرد، 2004)

لقد أشار ابن جبير على أن الحملات البحرية، تواجد فيها المغاربة، فلقد قاد حسام الدين لؤلؤ ضد الصليبين على عهد صلاح الدين واحدة منها، حيث كانت تضم عددا كبيرا من أجناد المغاربة البحريين (ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص277)، وأكثر من ذلك؛ أن وحدات الأسطول المصري التي هاجمت أساطيل الصليبين في مدينة صور أيام صلاح الدين، كانت بقيادة قائد مغربي يدعى عبد السلام المغربي ، وهذا ما يدلل لنا على علو مكانة المغاربة وبخاصة عندما تسند إليهم مناصب قيادية في معارك حاسمة ضد الصليبين منذ وقت مبكر، فإدارة الأساطيل البحرية من طرفهم كان منذ العصر الفاطمي وبعده الأيوبي والمملوكي (ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ص286)،ولا يستبعد أن تكون أعداد كبيرة منهم، قد شاركت إلى جانب الجهاد في أعمال أخرى، مثل الطبخ وتجهيز الطعام للجيش (المقريزي، السلوك امعرفة دول الملوك،ص269،، 1997) وحتى سفارة صلاح الدين الأيوبي لعاهل المغرب يعقوب المنصور 586هـ-1190م والتي ترأسها عبد الرحمن بن منقذ، لطلب مساعدات بحرية، تغني السائل على دراية المغاربة وتضلعهم في العمل البحري الذي اختصوا به (العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية،ص،96).

1.2. دورهــم في الــدفاع عن الاســكندرية:

ارتفعت مكانة المغاربة في العصر المماليك البحرية، وكان يلبغا الخاصكي (ت802هـ/1391م) يقدر دورهم ويعتبرهم فرسان البحر وكان الكثير من المغاربة على المراكب، في حين كان رئيس دائرة الصناعة بالإسكندرية، إبراهيم التازي نزيل مدينة وهران ، الذي عرف ببطولاته في الجهاد ضد الصلبيين (العبادي واخرون، تاريخ البحرية الاسلامية،ص186) وقد اشترك الكثير منهم في الدفاع عن الإسكندرية و أستشهد الكثير منهم و كان الأمير يقدرهم و يعتبرهم فرسان البحر (سعد زغلول، الاثر المغربي و الاندلسي،ص67) وبحكم الموقع الجغرافي للإسكندرية فقد كانت هدفا للحملات الصليبية التي تزعمتها جزيرة قبرص بدافع المنفعة الاقتصادية (حطيط، دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوروبي،ص24)،التي تجنيها

من الحروب الصليبية باعتبارها مركز تجاري هام و سوق عالمية للماليك الغربية في حوض البحر المتوسط، وكل ذلك دفع بملوكها آل لوزجنان إلي تبني الفكرة الصليبية ومن أبرز ملوكهم المتحمسين ملكها بطرس لوزجنان و يرتبط اسمه بالغارة الوحشية التي شنها على الإسكندرية (سعد زغلول، الاثر المغربي والاندلسي،ص99)في محرم 768هـ-أكتوبر 1365م ، وقد كانت الإسكندرية علي صلة وثيقة بالمغرب حتي عرفت بباب المغرب فقد بلغ عدد فقراء المغاربة في المدينة أكثر من ألف شخص يتقاضون جوامك من الحكومة المصرية ، و هذا دليل علي أن عدد المغاربة كبير بالإسكندرية (حطيط، دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوروبي،ص27).

يروي النويري السكندري الأندلسي توفي بعد 775هـ-1372م وهو أندلسي الأصل حسب رواية ابن حجر في الدرر الكامنة (ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ص255). حيث نجح الصليبيون في اقتحام المدينة وقتلوا عددا كبيرا من رجالها ونسائها وعاثوا في المدينة تخريبا ونهباً لمدة أسبوع كامل، وانسحبوا في سفكهم و بعد النهب والسلب (النويري، الالمام بالاعلام،ص167)وكانت الواقعة عظيمة حركت مشاعر الخزن لدى الأدباء والشعراء ومنهم الشاعر أحمد بن أبي حجلة التلمساني 725هـ-776/1325-1375م (حاجي خليفة، كشف الظنون،ص352)الذي عبر عن ذلك مشيدا بمجاهدي المغاربة في الإسكندرية.

وَحقَقْ عنْدي للْفرَنْجَ مَكَائـدُ ولْيتَـولى الاَمْـرَ يـدْري مَـا أَدرْى

فَمَنْ لِي بفُرْسَان الَجزيرَة عْندَمَا تعَامَل أَهْلُ الكُفْر في البَحْر بألْفَجْر

ومنْ لي بأُسْطوُل أهْلَ سَـبْتة ِ برَغبَاتهُم مثلَ السُـور إذْا تَسْري

فكان أن عم الغضب المشرق والمغرب، وبات واجب المماليك الحد من نشاطها وقطع دابر الصليبين الغزاة وهذا ما يؤكده النويري في كتابه الإلمام بالأعمال أن المغاربة دفعوا حياتهم ثمنا عن المدينة عندما نزلوا إلي المياه أمسكوا القبارصة و جعلوا أجسادهم عرضة للنيران (النويري، الالمام بالاعلام،ص168) (و في 29 رجب 769هـ- مارس 1368م م أقلع إبراهيم التازي من ثغر الإسكندرية في مركبين حربيين بهما خمسمائة مقاتل متجها إلي جزيرة قبرص، فغنم سفينة للعدو أرسلها إلي الإسكندرية بعد أن حجز معه رجالها ، و استمر إبراهيم التازي غاراته ثلاثة و عشرون يوما عاد بها محملا بالغنائم والأسري فارتجت الإسكندرية لقدومه ، و خرج أهلها ابتهاجا لاستقباله (بن خيرة احمد، دور المغاربة والاندلسيون،ص157) و في السنة الموالية 770هـ-1369م حاول الأسطول القبرصي إعادة الكرة فتصدت له المراكب بقيادة إبراهيم التازي حيث خاض معركة بحرية ضارية ألحقت الأذى بالأسطول القبرصي الذي فقد عدد من سفنه و عدد كبير من رجاله (بن خيرة احمد، دور المغاربة و الاندلسيون،ص166)، و في هذا

الصدد يقول النويري :" لأن الفرنج ليس بقهرهم سوي المغاربة ، وذلك لمخالطتهم لهم بجزيرة الأندلس ، يعرفون طرق حربهم و طعنهم و ضربهم في البر و البحر ، فلو كان منهم بالإسكندرية من المغاربة جمعا كبيرا بجوامك مرتبة، و غربان مجهزة بعددها و أزوادها كانوا يخربون جزر كثيرة ، وصارت الفرنج معهم في جزيرة**(heyed, 1959)**،لتحين بعد ذلك الفرصة للملك بيرساي لفتح المدينة وأسر ملكها لوزجنان سنة 829هـ-1426م (النويري، الالمام بالاعلام،ص169).

أما خلال القرن التاسع الهجري –الخامس عشر ميلادي فكان دور المغاربة في الأسطول المملوكي أيام السلطان الغوري :"... وكان العسكر الذي خرج في هذه التجربة مكون ما بين أولاد العامة وبعض مماليك سلطانية ، و الغالب منهم المغاربة و عبيد سود رماة و تراكمه و غير ذلك ، و أرسل السلطان صحبتهم جماعة كثيرة من البنائين و النجارين بسبب تلك الأبراج التي أنشاها السلطان جدة أنشأ الصور..." و قلة الإشارات حول التواجد المغاربي في هذه الفترة راجع لما آلت إليه الإسكندرية من اضمحلال نتيجة تحول الطريق التجاري إلي رأس الرجاء الصالح ، لذلك اهتم السلطان الغوري ببناء أسطول كبير في السوس ليتعقب به الفرنجة في البحر الأحمر(الله، 1985).

2.2 . دورهـم في فـتـح بيت المقـدس:

لقد اهتم صلاح الدين الأيوبي بالمغاربة وأسكنهم بيت المقدس بعد إنتصار المسلمين في معركتي حطين وفتح بيت المقدس وأسكنهم بجانب الحائط الغربي للمسجد الاقصى المعروف بحائط البراق، وحين سئل صلاح الدين الأيوبي من قبل حاشيته عن سبب إسكان المغاربة بهذه المنطقة (عمار، الصوفية والسياسة،ص251) أي عند سور الغربي للمسجد الأقصى، وهي منطقة سهلية يمكن أن يعود منها الصليبيون مجدداً أجاب بقوله" أسكنت هناك من يثبتون في البر، ويبطشون في البحر من أستأ نهم على هذا المسجد العظيم (سهيل خالدي، مكانة الجزائريين في الحركة الصوفية،ص144) ومن أشهر العلماء الذين شاركوا في الحرب ضد الصلبين أبو مدين شعيب بن الحسن الانصاري الذي دفن ذراعه التي قطعت اثناء قتال الصليبين قرب حائط البراق، وأقام قرب البراق مدرسة وأوقف سكن للقادمين من المغرب الاسلامي، وهكذا أصبحت حارة المغاربة كوقف منذ سنة 583هـ-1187م (اصبعية، عيون الانباء في طبفات الاطباء،ص676).

وكان لفتح بيت المقدس اثر كبير في نفوس المسلمين و يشير عبد المنعم بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني ت 604هـ- 1207م إلي مدي التفاعل الثقافي بين الغرب الإسلامي و أحداث القدس العربية و الاسلامية (علي كرد، خطط الشام ،ص265) لاسيما حادثة التحرير من الاحتلال الصليبي التي أثارت المشاعر ، و دفعت بها الأديب إلى التأليف لتخليد تلك الذكري العزيزة على قلوب المسلمين في مشرق العالم الإسلامي و مغربه ،وقد عبر عن فرحته بالانتصار علي الصليبين من خلال قصيدة بعثها إلى صلاح الدين الأيوبي سنة 582هـ/1186م قال فيها :

فيَا ملكاً لمْ يبقَ للديُن غيرهُ وهْمت عمد الإسلام فأشدد لها دعمًا
فشؤم فريق الشرك في الشام طائر فقص جناحيه بأقصى القوي قصما
خصصت بتمكين فعم العدا ردي فانهم يأجوج أفرغ بهم ردما
إذا أصفرت من الأصفر ساحة المقدس ضاهت ام القري قدما
فدا المسجد الأقصى و همتك العدي وعزمتك القصوى ورميتك الصما
و ما كل حين تمكن المرء فرصة ولا كل حال امكنت تقتضي غنما
وليس كفتح القدس منية قادر وما ان تلقاها سوي يوسف جزما

(علي كرد، خطط الشام،ص295)

ويبدو أن أهل المغرب الأوسط وجدوا الفرصة لمساندة أخواتهم في المشرق ضد الصلبين، كيف لا وقد عرفوا بجهادهم في الأندلس مع محمد بن أبي عامر ثم مع المرابطين، بل مع كل الدول التي خاضت حركة الجهاد في الأندلس، وما من شك أنهم أسهموا في المعارك ضد الصليبين (العبادي، تاريخ المغرب والاندلس،ص59) ،سواء مع نور الدين زنكي (ابن القلانسي، ديل تاريخ دمشق،ص205)أو مع صلاح الدين الأيوبي، وهو ما نلمسه من كثرة من وقع في الأسر لدي العدو، وقد ذكر ابن جبير أسير من مدينة بونة (ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص277)لكن لم يذكر اسمه.

3. إسهاماتهم في تقديم الخدمات للجيش

1.3 . التطبيب:

لم يقتصر دور المغاربة علي أداء خدمة الجندية فقط بل شمل نواحي أخري لا تقل أهمية مما يبين مدي إسهاماتهم و رغبتهم في التعاون و التكامل مع المشارقة ، حيث قدم المغاربة و الأندلسيون خاصة الأطباء خدمات جليلة للجيوش الإسلامية و المجتمع الشامي و جيش صلاح الدين حيث وقفوا صفا واحدا

ضد الصليبين منذ النصف الأول من القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي بدا الأطباء خاصة الأندلسيون يتوافدون إلي دمشق(عمر عبد السلام، الاندلسين و المغاربة في بلاد الشام،ص20)

و من هؤلاء الأطباء أبو الحكم تاج خدم صلاح الدين فترة طويلة من الزمن الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي درس الطب بالأندلس و بمصر حتى اشتهر كطبيب معروف ثم توجه إلي بغداد و فيها اشتغل طبيب البيمارستان (بن خيرة احمد، دور المغاربة و الاندلسيون،ص207).

ولما سمع بتهديد الصليبين رجع إلي دمشق يداوي الناس بدكان عند باب جيرون بالقرب من المسجد الأموي الكبير ، وكذلك فعل ابنه ابو المجد محمد بن عبد الله الباهلي الملقب بأفضل الدولة (ابن ابي اصبعية، عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص680) الأمر الذي جعل نور الدين زنكي يعتمده كمسؤول عن إدارة البيمارستان ، الذي أنشاه في دمشق ،كما قام الطبيب عمر بن علي البذوخ القلعي بممارسة المداواة العامة ، و اختلف عن بقية زملاءه من الأطباء بتصنيع الدواء بنفسه (علي كرد، خطط الشام ،ص270).

كما ساهم عدد من الأطباء في الحروب الصليبية منهم عبد المنعم الجيلاني أبو الفضل عبد المنعم بن عمر عبد الله الغساني اشتغل منذ وقت مبكر في ميدان الطب كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل و طب العيون و الآدب و تفوق فيهما بشكل ملحوظ رحل إلي المغرب ثم إلي بغداد ثم إلي دمشق لما سمع هجمات الصليبين حيث كان طبيبا رئيسيا في البيمارستان السلطاني في السفر و الحضر أيام،كان معظمها في ساحات الحرب و المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين و الفرنجة علي أرض فلسطين(علي أحمد، بلاد الشام في نظر المغاربة،، 2000،ص85)، وهو يشبه في عمله إلي حد كبير رئيس المجموعة الطبية، التي ترافق في العادة أية فرقة أو قطعة عسكرية من الجيش (علي أحمد، دور المغاربة والاندلسيين في الحروب الصليبية،ص225).

2.3التبرع بالمال:

لقد أسهم المغاربة و الأندلسيين في الذود و الدفاع عن البلاد المشرقية عامة ،و ديار مصر و الشام بشكل خاص بجميع ما يملكون حيث كانت لهم مساهمات من وجه آخر تجسد بتقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح و العتاد و غير ذلك ، ومنهم محمد بن محمد أبو الوليد التيجيبي إمام محراب

المالكية بدمشق و الذي يقول عنه ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة :" و كانت له عدة كاملة من السلاح و الخيل أعدها للغزاة من ماله..." (ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ص266).

لذلك فليس غريبا أن يكون جزءا كبيرا من تصرفات الحكام المماليك الإيجابية اتجاه المغاربة والأندلسيون في البلاد المشرقية خاصة ديار مصر و الشام ، مثل تخفيض الضرائب علي البضائع التجارية و التي يأتي بها التجار المغاربة الي الشام و مصر و غيرهم تكون بسبب موقفهم العسكري ضد الصليبين (بن خيرة احمد، دور المغاربة و الاندلسيون،ص176) بالإضافة الي دعم المغاربة الي البلاد المشرقية بمادة ضرورية و لازمة لصناعة السفن الحربية و هي الخشب ، نظرا لافتقار مصر لهذه المادة و وقوع بلاد الشام تحت سيطرة الصليبين ، فكان المغرب الإسلامي أكبر مزود لمصر من الخشب ، و ازداد الحاجة إليه زمن الحملة الصليبية الثالثة لصلاح الدين الأيوبي ، و لهذا جاء طلبه للمنصور الموحدي في إمداده بأسطول بحري ، و حينها لم يسع المنصور تلبية طلبه اتجه إلي إفريقية للحصول علي ما يحتاجه من الخشب والملاحين المهرة لتدعيم بحريته (بن خيرة احمد، دور المغاربة و الاندلسيون،ص177).

ومن مظاهر دعم المغاربة لإخوانهم المشارقة في أعقاب غارة القبارصة علي الإسكندرية إذا قاموا بجمع الأموال و إعداد الأساطيل و الأسلحة ، فهناك أعداد كبيرة من المغاربة وضعوا أنفسهم تحت تصرف قادة الجيوش بأجر معلوم للعمل في الأساطيل ، و قيدوا أجرهم لأجل مساعدة لإخوانهم لرد الصليبين عنهم (العبادي، دور المغاربة في الحروب الصليبية،ص101،، 1976).

4.خاتمة:

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى ما يلي:

- أن وجود المغاربة بكل من مصر والشام لم يرتبط في غالبيته بحدث محدد بل يعود إلى فترات سابقة؛ الأمر الذي يستوجب التمييز بين المغاربة المستقرين، وهم الذين ورد لهم ذكر في المصادر المشرقية وكانت لهم أدوار طلائعية في الجهاد ، وبين النازحين والمتطوعين الجدد الذين وإن شاركوا في الجهاد ضد الصليبيين، فإن مشاركتهم .في قسط وافر منها .همت المواجهات البرية على الخصوص.

- أن مفهوم الأمة على المستوى السياسي وإن لم ينتظم حول سلطة سياسية وروحية معينة إبان هذه الفترة بسبب التوترات السياسية، فإن الشعور بوحدة الأمة الإسلامية وبضرورة الحفاظ عليها والوقوف صفاً واحداً أمام كل ما من شأنه أن يهددها، كان حاضراً في وعي أبنائها، وهو ما تجسد في رغبة

المغاربة ا عامة وأهل المغرب الأوسط بالخصوص و هي الرغبة الملحة بالمشاركة، إلى جانب إخوانهم بالمشرق، في المعارك من أجل تحرير رمز هذه الوحدة، ألا وهي البقاع الإسلامية الطاهرة

5.-قائمة المصادر

1.5.المصادر

-إبن الاثير ،الكامل في التاريخ ،ج9، دار بيروت للطباعة، ،بيروت،1984م،

-إبن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق ،ط1، تحقيق ،سهيل زكار ،دار إحسان ، دمشق،1983

-إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ،ج4، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ،مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،، الهند ،1987م

-إبن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من دوي السلطان الأكبر ، ج1 ،دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت،1998م .

- أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي، مقدمة كتاب رياض النفوس، قام علي نشره ،حسين مؤنس ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1951م

-حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،ج1، 1941.

-محمد بن القاسم بن محمد النويري، كتاب الالمام بالأعلام فيما جرت به الاحكام والأمور المقضية في واقعة الاسكندرية، ج4، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن حيدر أباد، الهند، 1970.

-المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ط1، ج1،تحقيق:محمد عبد القادر عطا ،منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،1418ه-1997م

- المقريزي، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف بالخطط المقريزية ، ج1،تحقيق :محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، راجعه وضبط هوامشه ،أحمد أحمد زيادة ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1998م

-موفق الدين بن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،ج2، تحقيق :نزار رضا ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م .

2.5.قائمةالمراجع

-أحمد العبادي وآخرون ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس ،دار النهضة العربية للطباعةالنشر،بيروت،1969م

- أحمد مختار العبادي: دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي البحرية للإسلامية في العصر الأيوبي والمملوكي، بحوث في تاريخ الحضارة للإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري 16-20 أكتوبر 1976. مؤسسة شياب الجامعة للإسكندرية 2000م.

-أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،بيروت ،2008م

-جواد المرابط، التصوف والامير عبد القادر الحسني، دار اليقظة، دمشق،1995م

-حسين ممدوح، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، دار عمار ،عمان ،2007م .

-رفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1995م

-سعد زعلول، الأثر المغربي والأندلسي ، المرجع السابق ،ص 262 إبتسام مرعي خلف الله ،العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي 524-936هـ/1130-1529م،دار المعارف ،القاهرة ،1985م

-علي أحمد، دور الأندلسيين و المغاربة في الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر ،الإطار التاريخي للحركة الصليبية، منشورات إتحاد المؤرخين العرب 1996م.

-علي حسن عمار، الصوفية والسياسة في مصر، مكتبة الأسرة، القاهرة ،2007م.

3.5.المراجع المعربة

-السير هاملتون ا.ر. جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ترجمة، يوسف أنس ، بيسان للنشر و التوزيع ، ط2، بيروت ،1996م،

-كلود كوهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، مصر،1995م،

-حطيط ،دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوروبي في اواخر القرون الوسطي ،مجلة تاريخ العربي ،ع18،المغرب ،2001،

4.5الرسائل و المجلات:

-بن خيرة أحمد ،دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين، رسالة ماجيستير ، جامعة الجزائر 2 ،كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ،2010-2011م،

-سهيل الخالدي، مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان نموذجا ،مجلة أفكار وأفاق ، العدد 03، 2012.

-سعد زغلول عبد الحميد، الأثر المغربي و الأندلسي في مجتمع السكندري في العصور الوسطي،ضمن ندوة تاريخية مجتمع الإسكندرية، مطبعة جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ، أفريل 1973م.

-علي أ حمد، بلاد الشام في نظر المغاربة و الأندلسيين مند بداية القرن السادس حتي نهاية القرن التاسع الهجري ،مجلة التاريخ العربي ، جمعية المؤرخين المغاربة ، العدد 15، المغرب ، 2000م.

-عمر عبد السلام تدمري ، " الأندلسيون و المغاربة في طرابلس الشام " مجلة التاريخ العربي ، عدد12، المغرب ،1999.

5.5.المراجع بالفرنسية:

-Heyed (W), Histoire du commerce de levant à la moyenne âge, société de l'orient latin, Paris, 1959.